جبابرة العصور الغابرة

والبحث عن آثارها

متاحف التاريخ الطبيعي في اوربا واميركا تحوي كثيراً من بقايا الحيوانات البائدة التي انقرضت منذ ملايين السنين وهي جماجم وهياكل عظمية جمعت من مختلف البلدان وحقق بها العلماء ما يستطيعون تحقيقهُ عن الحياة في الازمنة المتوغلة في القدم

على أن البحث عن المتحجرات كالبحث عن الذهب لا يعرف الباحث متى يصيب غنيمتهُ ويعثرُ على ضالتهِ بل لقد ينقضي عليهِ زمن طويل يعاني فيهِ اشد المصاعب ويتكبد اكبر المشاق ولا يعثر على ما يوازي تعبهُ او جزءاً منهُ وقد يصيب من النجاح بضربة معول واحدة ما يكشف للعالم العلمي اموراً تدهشهُ وتحيرهُ

مثال ذلك ان المستر ولتر جرانجر الاميركي كان سائراً في ارض موات بولاية ويومنغ من اعمال الولايات المتحدة فعثر اتفاقاً على ما ظهر بعدئذٍ انهُ من اغنى البقع بعظام الحيوانات المنقرضة . وذلك انهُ فيما هو مارٌّ في تلك الناحية مع صحب لهُ وقع نظرهُ على رجمة من الحجارة يرجح انها اثر نزل بعض الرعاة الاقدمين ولكن منظرها غريب استوقفهُ فانحنى والتقط قطعة منها وبعد ان نظر فيها قليلاً قال لرفاقهِ هذا عظم متحجر ثم التقط شيئاً آخر احمر اللون وبعد ان فحصهُ قليلاً قال وهذا من بقايا حيوان بائد يدعى برنتوسورس Brontosaurus . فأتى بآلات الحفر وجعل يحفر هناك وبعد بضع ساعات اصاب بعوله جسماً صلباً صعب كسرهُ او اقتلاعهُ فحفر حولهُ واخرجهُ فاذا بهِ عظم متحجر يزيد طولهُ على متر ونصف متر وهو من عظام احد الزحافات الضخمة المنقرضة. فدعيت تلك البقعة «مقلع غرفة العظام» وتعرف بهذا الاسم عند العلماء وفي الصحف العلمية. والظاهر أن تلك البقعة كانت منذ ملايين من السنين اشبه شيء بمدفن للحيوانات البائدة كالديناسورس والتماسيح المتوغلة في القدم والخيل والسلاحف الضخمة . فاحدث هذا الاكتشاف هزة في دوائر العلم وجعلت المتاحف الاوربية والاميركية الكبرى تبعث البعثات الى تلك الجهة للبحث والتنقيب وقد عثر فيها حتى الآن على بقايا ٧٣ حيواناً من اجناس مختلفة اكثرها لم يكن معروفاً لدى علماء الحيوان والمتحجرات

ومن أحدث الاكتشافات واهمها هيكل عظمي كامل لحيوان من نوع الدينوسورس يدعى تيرانوسورس Tyrannosaurus وهو من الحيوانات المنقرضة التي كانت تأكل اللحوم كشفهُ في مونتانا باميركا رجل من رجال المتحف الاميركي والظاهر ان هذا الحيوان كان شديد الوطأة على سائر الحيوانات وعلوهُ حين وقوفهِ ١٨ قدماً وهو قادر ان يمسك بمخالبهِ ثوراً كبيراً وانيابهُ حادة كالخناجر طول كلٍّ منها نحو ربع قدم والفتحة بين فكيهِ الاعلى والاسفل نحو متر

من هذه البقايا يستطيع العلماء ان يعرفوا طول الحيوان المنقرض وعلوهُ وشكل جسمهِ وعاداتهِ في معيشتهِ بوجه التقريب . ولكن احد المنقبين الاميركيين عرف ذلك معرفة دقيقة حينما كشف بقايا دينوسورس لا تزال مغطاة بجلد حقيقي وهي الآن في متحف التاريخ الطبيعي الاميركي

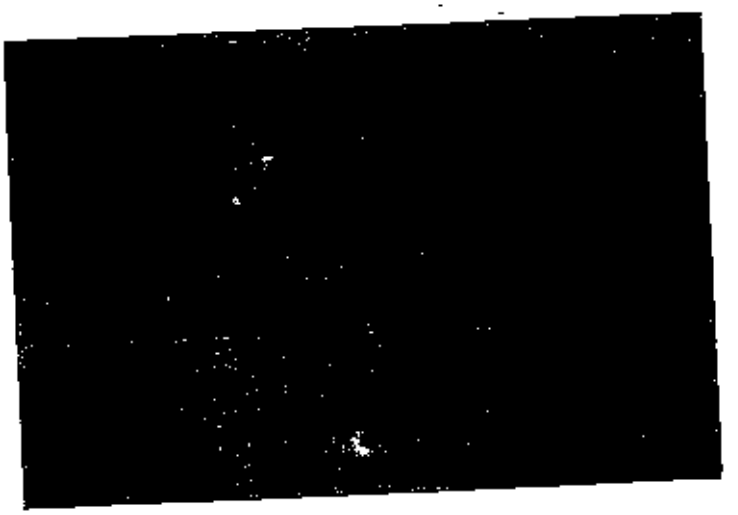

وكان الالمان في مقدمة مكتشفي بقايا الدينوسورس في افريقية. وقد نبشت بقاياه في مرتفع من الارض يعلو نحو ٦٠٠ قدم فوق سطح البحر . وكان المظنون قبل هذا الاكتشاف ان اكبر دينوسورس عرف لا يزيد طولهُ عن ٨٠ قدماً الى ٩٠ ولكن الالمان عثروا على دينوسورس يزيد طولهُ عن ١٥٠ قدماً والمنتظر ان تحفر عظام هذه الجبار المنقرض وترسل الى المتحف البريطاني

والدينوسورس كما ترى في الصورة السابقة غريب الشكل جسمهُ ضخم جدًّا وعنقهُ طويلة ورأسهُ صغيرة وذنبهُ طويل مستدق في طرفهِ كذنب السقّاية وهو بطيء الحركة لثقله صغير الدماغ يعيش في المستنقعات حيث يكثر العشب لانهُ من آكلتهِ . والظاهر ان حيواناً من آكلة اللحوم اصغر منهُ حجماً واخف حركة واوسع حيلة ما زال يحاربهُ حتى قرضهُ

***

ذكرنا في مقتطف دسمبر الماضي ما كشف في صحراء جنوبي منغوليا من بيض الدينوسورس والآن نقتطف ما يلي من مقالة مسهبة فيها تفاصيل ذلك الاكتشاف الغريب في بابهِ كتبها رئيس البعثة التي كشفتهُ وهو الدكتور اندروس ونشرها في مجلة « اخبار لندن المصورة » قال : —

كنا راجعين من كلوجان بصحراء منغوليا في سبتمبر الماضي فوقفنا قليلاً في احدى القرى المنغولية لنسترشد عن الطريق . ذهبت لافعل ذلك وفي غيابي عزم مصوّر البعثة المستر شكلفورد ان يجول قليلاً في تلك الناحية ليرى آثار بعض التلاعير الترابية هناك فدهش كثيراً حينما رأى نفسهُ واقفاً على طرف مرتفع من الارض ينحدر فجأة الى منخفض متسع فعزم ان يقضي بضع دقائق هناك باحثاً عن الحجرات حتى اذا لم يعثر على ما يستحق البحث عاد الى الاتوموبيل . لكنهُ عثر في الحال على جمجمة صغيرة بيضاء ملقاة على صخر رملي فرجع بها الى حيث كنا في انتظاره ولكننا لم نستطع ان نعرف حقيقتها مع ان المستر جرانجر كان يعتقد انها جمجمة نوع غير معروف من الزحافات . لذلك عزمنا ان نحط رحالنا هناك لنبحث في تلك الناحية علّنا نوفق الى ما فيهِ خدمة العلم (وقد ارسلت تلك الجمجمة الى متحف التاريخ الطبيعي الاميركي فقال الدكتور غرغوري هناك انها جمجمة نوع من الزحافات سابق للدينوسورس ذي القرون الذي وجدت آثارهُ في اميركا ودعي هذا النوع بروتوسراتوس اندروسي نسبة الى الدكتور اندروس رئيس البعثة التي كشفت هذه الجمجمة) ولو لم يتفق لشكلفورد المصوّر ان جال في تلك الناحية لما اهتدينا الى ما وجد من اغنى البقع بتحجرات الحيوانات المتوغلة في القدم . ولتحال انتشر اعضاء بعثتنا في تلك الناحية يبحثون فيها عن آثار الحيوانات المنقرضة مع ان الشمس كانت قد آذنت بالمغيب ولم يمض اكثر من ساعة حتى رجع احدهم المستر

جونصن يطلب آلات الحفر قائلاً انهُ عثر على جمجمة بيضاء كبيرة . وحينما اجتمعنا حول مائدة العشاء اخذ كل منا يحدث الآخرين عن نجاحهِ في النقب . وكنت انا ممّن وفّق الى اكتشاف جمجمة وفكّين قرب اثر تركهُ هناك المستر جرانجر في السنة الماضية

ولكن الاكتشاف الكبير حدث في اليوم التالي . فان المستر جورج اولسن احد اعضاء البعثة اخبرنا ونحن نتناول الطعام في الصباح انهُ عثر على بيوض متحجرة فسخرنا منهُ كثيراً ولكنا اشوقنا لرؤيتها فذهبنا بعد تناول الطعام الى الناحية التي قال انهُ عثر فيها على البيوض المتحجرة وهناك رأينا لاول مرة بيض الدينوسورس الذي لم يرهُ احد قبلنا . فاجتهدنا ان نمال وجودهُ بكل تعليل جيولوجي ممكن فلم نفلح فقلنا لا بدّ من ان تكون هذه البيوض بيوض دينوسورس مع اننا لم نكن نعلم أن الدينوسورس من الحيوانات البيوضة ولم نكن نجهل انهُ مع كثرة ما وجد من آثارهِ في مختلف انحاء الارض لم يعثر احد قبلنا على بيض لهُ ولكننا قلنا اذا كانت الزحافات اليوم بيوضةً فلماذا لا تكون اسلافها كذلك

وقد يسأل البعض الا يجوز ان تكون هذه البيوض بيوض طائر ؟ فنجيب كلاً لان الطيور لم توجد في الدور الطباشيري الاسفل . واما الطيور التي وجدت في الدورين الجوري والطباشيري الاعلى فكانت صغيرة جدًّا لا تستطيع ان تبيض بيضاً كبيراً مثل هذا . وزد على ذلك ان شكل البيض المتحجر الذي وجدناهُ مستطيل وهذا من مميزات بيض الزحافات فبيضة الطائر تكون في الغالب اكبر عند عقبها منها عند رأسها لانها توضع في عشٍّ وقد تتدحرج منهُ اذا لم يكن احد طرفيها اكبر من الآخر واثقل منهُ . واما بيض الزحافات فليس كذلك لانهُ يطمر بالرمل وعائل في شكلهِ البيوض التي عثرنا عليها . ومما يؤيد القول بان هذه البيوض بيوض دينوسورس ان الناحية التي وجدت فيها تكثر فيها عظام الدينوسورس ولم نعثر فيها على آثار حيوان آخر مدة بقائنا هناك

وجدتُ ثلاث من هذه البيوض في حفرة واحدة والظاهر انها كانت لا تزال في المكان الذي القيت فيهِ منذ عشرة ملايين سنة . وكانت قشرة بعض البيوض الاخرى قد كسرت وفصلت عنها لانا عثرنا عليها لاصقة بالصخر الذي حولها

وبينما كان اعضاء البعثة ينظرون الى هذه المتحجرات اخذ المستر اولسن يحفر